

بسم الله الرحمن الرحيم

منتدى الرواية

المنصة الرقمية لمناقشة ومدارسة الروايات السودانية

الندوة رقم (4)

مناقشة رواية (آماليا) للروائية مناهل فتحي

مداخلة الأستاذ الحسن محمد سعيد

حول رواية آماليا للاستاذة مناهل فتحي حسن

أشهد أنني استمتعت بهذه الرواية أيما استمتاع.. فقد أخذتني عذوبة اللغة، وجمال ودقة المجاز في العبارة، إلى عوالم ثرة من الإدهاش والراحة والقبول، الأمر الذي جعل الصورة أمامي، قوية البنيان والبيان، مجسدة، كأنك تراها وتلمسها !! ..

جاءت الرواية في فصولها السبعة الأولى (والترقيم من عندي لأن عناوين الرواية جاء بلا ترقيم) صورة (فولكلورية) باذخة العرض والوصف لعادات وتقاليد السودان ،سكبت فيها الكاتبة لغتها الشعرية (الفسيحة)، فكانت آية من آيات الجمال، ومن منابعه الموحية، الرصينة العبارة.. لم يكن ذلك فحسب، بل كانت هناك، الشجاعة في تناول، والجرأة في الوصف، والجسارة في التعليق .. ماذا تناولت هذه الروائية الجسورة؟؟ !! ..

تناولت: الختان وطقوسه والغرض المتخلف منه في مفهوم هوس (الشرف) بقتل الشهوة والمتعة عند المرأة، وتشويه ذلك العضو الجميل الذي خلقه أحسن الخالقين!.. وتناولت الولادة وفرعياتها من الألم والمعاناة .. تناولت المشاط وعوالمه المدهشة من قبل (مشاطة) لها كل الحريات حتى في المسكوت عنه .. تناولت الشلوخ وعذاباتها ،ودق الشفاه (الشلوفة) وجهالاته، فأضحت المرأة السودانية في حالة شقاء يتوالد ويتكاثر خلال أجمل سني حياتها..

كانت الكاتبة صادقة حد التحدي للمسكوت عنه، فاتحفتنا بجراتها وثقافتها العميقة في مجتمعها الذي تربت ونشأت فيه.

وقفت عند واقعة (ولادة متعسرة في حالة عمة البطلة المفاجئة اذ جاءها المخاض في شهرها الثامن).. وصفت الكاتبة هذه الحالة وبعبارات (مستورة) الداية ولغتها الفاضحة ، إذ اعتادت أن يأذن لها المجتمع في حرية القول المطلقة وكأنه يعفيها من تحفظاته ودنياواته الضيقة التي تتأذى من السفر.. تجلت الكاتبة في جراتها الجسورة والصادقة الذي عرفناه عن امرأة (كمستورة القابلة)، وقامت الكاتبة بشرح دلالة اللفظ، وليتها لم تفعل، وتركته على ما هو عليه من إيحاء، كما جاء عفو خاطر..

الجدل بين التصوف والماركسية كان هناك، بين (كمال البدوي) والد (غفران) الشيوعي والعلماني المتحرر الفكر، وبين (ثريا الفاتح) والدتها، المتصوفة بعقلانية وابنة البيت الديني الكبير في (الهاللية) .. كانت الكاتبة ناضجة الفكر والثقافة، في تحليلها الذي تضمنته الرواية في هذه الجزئية، إذ جاء:-

(لم يهمس لها بشيء من هذا أن يبدو تلميذا" في حضرتها، هي التي بداله أنها خافت الوقوع في حبال الماركسية.. كان يرى ذلك جليا" في ملامحها، وهو يبثها حلمه بوطن تسوده الحرية والعدالة.. ويكرر أن الحزب الشيوعي، هو المنارة الوحيدة التي يناط بها تحقيق ذلك الحلم .. ولكنه كان يحاول أن يقيم علاقة تتجنب العدا، وتتجنب التبعية، وقد نجح)..

ومن خلال هذا الفصل اتضح لنا أن الكاتبة ملمة بالطرق الصوفية بالسودان، الماما " كاملا"، زادت فيه معلوماتنا، الأمر الذي يشي بأنها أعدت مادتها السردية بعناية واهتمام..

عجبنى الوصول إلى أصل (الرحمات) في الفصل الخامس، الذي يحمل نفس العنوان ،والربط بين (الحو مر) وبين تنوع السودان وتناقضه..
تقول الرواية:-

(الحو مر عصير يختصر دولة.. متنوع كتتوع قبائلها.. متناقض كتناقض ثقافتهم وألوانهم.. لذلك، فإنه لا يوجد في غيرها من الدول.. لا يستلذ بطعمه الحلو المر، غير أهل السودان، القادرة ألسنتهم على الجمع بين المذاقات وفرزها، كما تفرز العين ألوان الطيف من ضوء أبيض)..

هذا تصوير مدهش، لا يقدر عليه، إلا من قبل من كانت له مكنة ثقافية عالية في تراث السودان، ومن كانت عنده ملكة في استحلاب شاعريته في اللغة .. ولعلي هنا استشهد بمقطع آخر من الرواية، إذ جاء البوح من العروسة (والدة البطلة ثريا الفاتح حينما فرض عليهما هي وعريسها كمال البدوي ان يناما مفترقين لظروف اقتضت ذلك فتسللت اليه عند الصباح بكامل زينتها ،فوجدته نائما" ،فقررت ان تكتب له رسالة تضعها تحت وسادته). فكتبت:-

(أيها السعف النائم، هناك امرأة هي نخلتك وثمرتك، امك وابنتك، تحملها وتحملك، تغذيها وتغذيك، آن لحسرتك أن تتحسر، وأن لك أن تتذوق ثمرتك، وتحتسي أنثاك) ..

وعندما حاولت دس الوريقة تحت وسادته شعر بها، فاحتضنها واحتساها ..
بهذه اللغة الشاعرية الجميلة، ادلف إلى فصول الرواية من الفصل الثامن (المحموم) وما بعده في (الحب الصاخب المتأجج) الذي يجمع بين بطل الرواية (خالد عبد الحق) وعشيقتة الروسية (نتاليا) وزوجته بعد عودته للسودان من روسيا (غفران) ..

تزوج الدكتور (خالد عبدالحق) اخصائي جراحة التجميل من (غفران كمال البدوي) بطلة الرواية، التي تعمل في الصحافة.. ولكن كان هذا الزواج قلقا"

متقلبا"، لأن الدكتور خالد، كان مسكونا" بهوس (نتاليا) عشيقته الروسية، والتي هي بدورها قد احبته حبا" مشتعلا"، يحتاج فيه صقيعها المنحدر من ثلج (سيبيريا) إلى شمس خالد الاستوائية طلبا" للدفع.. ورغم هذا الامتلاء (بنتاليا) إلا أن (خالدا") أحب (غفران) من زوايا أخرى لم يجدها في عشيقته الروسية !!.. فهو الذي اطلق عليها اسم (آماليا) في لحظة حب ولسنوات، فتمناها زوجة تجمع بين ما تتفرد به وبين ما تتفرد به (نتاليا).. فلم يكن سرير (غفران) كذلك الذي عاشه مع (نتاليا) .. وهنا إدانة ذكية من الكاتبة وهي تدين دون إعلان وصراخ عادة (ختان) البنات ..

وهنا تقول (غفران) في تداعيتها الحر صفحة (175):-

(كنت اقترح على الأصناف المتناقضة، وكأنني أنظر إلى خريطة حياتي، جيناتى الهجينة، لغاتى الهجينة، مزاجى الهجين، حبي الهجين.. ولكنى لست وحدي. هو أيضا" يتأرجح بين النقائض، ما يجعلنا ننزلق إلى النكد اليومي، والخلافات التي لم تكن للأسف مفتعلة.. خلافات عادة ما كنا نحسمها بكثير من النفاق، وقليل من الحب.. استلقي كل ليلة إلى جانبه في الفراش، ونحكي تفاصيل يومنا وغيرها من القصص التي نحاول أن نردم بها فراغا" يمعن في الاتساع.. نردم ونردم، حتى تغفو انفعالاتنا التي تعودت على أن تستفيق مبكرة) ..

في الفصل الذي يحمل عنوان (الهارب) صفحة (149) وما بعدها تتناول الكاتبة (فولكلور) العادات والتقاليد السودانية ممثلة في:-
تعليم العروس الرقصات الخاصة بهذه المناسبة.. الزار وطقوسه السودانية المتفردة، ثم عادة اللجوء إلى (رمي الودع) من قبل (سكينة الوداعية)، لتكتمل صورة السودان الشعبية التي سبق التعرض إليها، لدى القارئ الأجنبي..

كانت الأستاذة (مناهل فتحي) ملمة إلى حد الدهشة، بمادتها السردية سواء كانت مادة علمية تخصصية، كما هو الحال عند التعرض (لنقل الأعضاء البشرية)، والذي جعلت منه مادة عميقة الدلالة لإدانة الفساد الذي تتوع استشرى في زمن الإنقاذ، او (الفولكلور) السوداني بعاداته وتقاليده وأشعاره التي تناسب الموقف.. ذلك فضلا" عن أقوال الأنبياء والملوك والشعراء والروائيين وكتاب

المسرح والفلاسفة والثوار والمتصوفة وأهل الحكمة، التي كانت تتصدر كل فصل، فتلقي دلالات على الفكرة التي تريد طرحها ككاتبة عميقة الثقافة كقول (أرسطو):-

(إذا طرحت سؤالاً" على رجل السياسة ،فإنه يجيبك بطريقة تجعلك عاجزاً" عن فهم سؤالك).. وهنا إشارة بالغة العمق لحالة التوهان التي عاشها بطل الرواية (الدكتور خالد)، وهو يتمزق بين مبادئه التي كان يحملها، والمبادئ المنحرفة التي يحملها (دكتور التاج) مدير المستشفى الذي شغل (دكتور خالد) عنده فتاه وضل عن المبادئ المستقيمة، وأخلاق المهنة الشريفة، فتلوث من خلال اشتراكه في عمليات تجارة الأعضاء البشرية.. أو قول الإمام علي بن ابي طالب:-

(من كان همه ما يدخل جوفه، كانت قيمته ما يخرج منه).. وبهذه العبارة العميقة أن نقف على الهاوية السحيقة التي تردى فيها (دكتور خالد)، لتنتهي حياته بالانتحار..

لقد كانت الأستاذة (مناهل فتحي) في هذه الرواية عظيمة بكلمتها الشعرية ذات العذوبة الخاصة بها، وبحرفها الجميل الوافر الظلال.. ولعلي هنا أتساءل:- هل سيكون لدينا كاتبة روائية في السودان، تماثل الكاتبة الجزائرية (أحلام مستغانمي) في هذا البوح من السرد الرفيع؟ .. ولعلي أجيب يقينا (بنعم كبيرة)، فالمسألة مسألة زمن وصبر على الإبداع..

لقد ابدعت الأستاذة (مناهل فتحي)، بروايتها هذه، وكشفت لنا عن كاتبة ناضجة من وهلتها الأولى، عميقة الثقافة، حلوة اللغة، متمكنة من أدواتها الفنية، وتعي تماما" ما تريد تبيانه..

وفي الختام أدهشتني رواية (أماليا) وأمتعني..

الحسن محمد سعيد